- ٤ -

كان كبار الملوك الساسانيين يطمعون أكثر من طمعهم في لقب فاتح بلقب بانٍ، حريصين على محاكاة قُدوة «الإسكندر» الخالدة في هذا كما في غيره من الأعمال. أفلم يزرع في أرض القدماء عدداً لا يُحصى من مدن (الإسكندرية)؟ ولقد ودّ «شاهبور» تخليد مجده بالطريقة نفسها مالئاً المناطق المُخضَعة بالمدن المتشابهة الأسماء المُهداة جميعاً إليه. فما إنْ يفوزُ بنصرٍ ما حتى يُصرّ على تخليد ذكراه على الفور بأن يضع في العشب المدمَّر حديثاً الحجر الأول لمدينة يُطلق عليها اسم «نصر شاهبور» أو «المجد لشاهبور» أو كذلك «شاهبور المِقدام». وكان يُغدق على من يرغب في الاستقرار فيها الألقاب والامتيازات والإعفاءات، وإذا حدث أن مرّ ثانية بالموضع بعد عام أو عامين فإنه كان يستشيط غضباً لرؤية مدينة «هِ» بطيئة جداً في أن تكبر وكأن الاسم الجليل لذي وهبها إيّاه كان ضماناً لازدهار فوريّ.

ومع ذلك فقد كانت تتلو كلَّ حملةٍ حملةٌ أخرى. والانتصارات تتلاحق. وكان كل انتصار يستمدّ ظلالاً من روائع الذي سبقه، كما يحدث حين يكون هناك عدد كبير من العشيقات. وإذ كانت كثير من المدن المنذورة للخلود تُبنى سريعاً وتُهمَل سريعاً فإنها لا تلبث أن تغدو بساتين أو مراعيَ. ولمّا كان يُحدِّد وجودها مجرّد نُصُب تذكاري فإنّها سوف تنتظر عبر الزمن الجامد الرفشَ الماهر في يد أحد علماء الآثار.

ذاك كان مآل الحاضرة الجديدة المقرّرة بجوار (الرُّها) في المكان الذي قُبض فيه على «ڤاليريان».